الملكة تيتي شيري

وعصر التجديد الوطني في مصر

بقلم حضرة صاحبة السمو السلطاني الاميرة قدرية حسين

٣

نالت يد الدهر من النقوش التي على الحائط فمحتها وفي كثير من المواضع تقص تركهُ النقاش ولكن رغماً من الالتباس فني وسع المرء ان يقرأ حرفيا تاريخ هذا التبطان الباسل وحصار أوار[١] مرتين والاستيلاء على المدينة والثورات العديدة التي نشبت في ريف نوبيا وفي العراق[٢]

ولا يسع المرء الاَّ الاعجاب بتاريخ حياة هذا الاميرال الشيخ الذي قاتل قتالاً مجيداً مدة حكم ثلاثة ملوك مشهورين وهي مدة من اعظم عصور التاريخ المصري شأناً وأحفلها بالمخاطر والحوادث الجسام

واذا ذكرنا ان الاسيويين المغيرين كانوا قد بلغوا في احتلالهم مدينة كوزاك Cusac (القوصية) في حكم كاموزي القصير المدة لا نتمالك انفسنا من الاعجاب بعظمة خلفائه وبسالتهم وقد اوغلوا في اسيا وافتتحوا بلاداً جديداً وترامت حدود مصر الى مسافات بعيدة وامتدت امارة طيبة في قليل من الزمن من كوش في اثيوبيا الى النهرين في العراق

وحمدت الوالدة الملكية تيتي شيري مغبة الاتعاب التي عانتها في حياتها الطويلة وطاب قلبها الوالدي بهذا التقدم الذي تمَّ حتى لقد تساءل بعضهم الا يمكن ان يكون الاحتفال الرسمي الذي شهدتهُ ابتهاجاً بتجديد هيكل اله الحرب في الكرنك بمثابة صلاة شكر للاله منتو Monto لانهُ كلل هامات جيوش احفادها الملكية باكاليل الانتصارات المجيدة الباهرة فقد اشتركت في افتتاح هيكل منتو ونقشت صورتها في هذا الاحتفال التذكاري على قطعة من الحجر في اليوم في لندن[٣] وعندي لها صورة شمسية

وهذه القطعة المنقوشة التي اشتريت[٤] في مصر منذ سنوات كانت موضوعة بلا

(١) Ancient Records: Breasted
(٢) The Expulsion of the Hyksos: A. Gardener
(٣) University College
(٤) Ancient Egypt: Winlock

شك على حائط في مقصورة منتو الصغيرة التي في اثر خرب لا ترى فيها الاَّ بعض نقوش لا نقرأ نقريباً واليك ترجمة العبارة الموجزة المطموسة بعض الطمس

في سنة [١] (.....) في اليوم السابع عشر من الشهر الرابع من اشهر الصيف جدد جلالة نيبيهتره بن را — احموسي ملك مصر العليا ومصر السفلى المزين بالحياة هذا الحائط تبرعاً منهُ على سبيل التذكار لابيهِ منتو إله طيبه الثور في هرمونتيس (ارمنت)

وتشاهد على يسار الكتابة اطراف ريش منتو إله طيبة وعلى يمينها يرى الجانب الاعلى من التاج الابيض الذي يلبسهُ الاله نيبيهتره بن را احموسي الملك الصالح للارضين (الوجهين البحري والقبلي) وترى خلفهُ ملكة اقصر منهُ وتدل هيئتها على انها الوالدة الملكية [٢] تيتي شيري

فتيتي شيري رغماً من انها كانت في ذلك الوقت جدة الملك كانت لا تزال متقدمة في المقام على الجميع تتلقى من صنوف التكريم والتعظيم ما يقدم الى حفيدها وهذا امر ذو مغزى فان ابنتها ياحوتب كانت عائشة وحفيدتها احموسي — نوفتيرا كانت اذ ذاك تشاطر زوجها واخاها احموسي عرشهُ واسباب عظمتهِ ولا شك في ان هاتيك الملكات كن من اعظم الملكات نفوذاً واعتباراً وكانت تيتي شيري مهيبة الجانب في البلاط. ولكن اكان هذا الاحترام والاجلال موجهين اليها بالنظر لشيخوختها او كان لشخصيتها الممتازة؟ ذلك ما لا استطيع ان ابدي فيهِ رأياً ويظهر انهُ مما لا نزاع فيهِ انها في مدى سني ترملها الطويلة [٣] لعبت دوراً سياسياً على جانب عظيم من الاهمية. ولسوء الحظ تعوزنا الادلة المقنعة على ذلك

وعلى كل حال. فالتمثال الصغير الموجود في لندن يدلنا دلالة كافية بما يظهر من ملامح ذلك الوجه الصغير على ان صاحبتهُ كانت سيدة من ذوات الصفات السامية

لقد كان لتيتي شيري في طيبة مقبرة [٤] ومقصورة ضاع الآن منها العين والاثر ومع ذلك ففي أيدوس الى اليوم وبقرب الجبل المقدس [٥] الذي شادت عليهِ جميع

---

(١) Queen Téti Sheri grand mother of Ahmes 1st. Winlock

(٢) Ancient Egypt: Winlock

(٣) Ancient Kings & Queens of Egypt: Winlock

(٤) Guide du Musée du Caire : Maspéro

(٥) Guide to the Antiquities of Upper Egypt: Weigall

الاسرات الاولى منازلها الابدية بقية من هرم متهدم وانقاض . مقصورة تذكارية مبنية من الطوب الجاف وقد اقيم كلاهما فيما مضى اكراماً للوالدة الملكية وقد اكتشفت المقصورة في اثناء حفريات ابيدوس في سنة ١٩٠٢ (١) اذ وجدوا في غرفة القرابين شاهد قبر تيتي شيري العظيم الاهمية لانهُ كان لحسن الحظ عاملاً في جلاء بعض ما غمض من تاريخ هذه الملكة (٢)

وهذا الشاهد على جانب عظيم من دقة الصنع ويستحق ان نقف عنده هنيهة فانهُ وثيقة تاريخية (٣) عظيمة القدر وما عليهِ من النقوش والصور بالغ حد الاعجاز وهو من الحجر الكلسي (الجيري) (٤) وطوله متران او اكثر قليلاً ويرى فيهِ باشق كأنهُ يطير الى السماء بجناحيهِ الكبيرين وتيتي شيري جالسة في الوسط تتلقى اكرام حفيدها وعلى رأسها عقاب تعلوه الريشتان اللتان تمتاز بهما الالهات هاتور وتحملهما جميع الملكات اللواتي يصرن عند موتهن هاتور مجسدة (٥)

وتراها مرتدية الثوب الطويل المحكم المرفوع بحمالتين وفي عنقها القلادة الكبيرة وفي يدها شيء يشبه صولجاناً منثنياً يرى عند جميع الملكات المؤلهات ويستعمل مذبّة وسوطاً في وقت واحد واماهما الملك احموسي وعلى رأسهِ التاجان وقد ارتدى ثوباً قصيراً وفي منطقتهِ خنجر (٦) وفي عنقهِ قلادة كبيرة وهو يقدم لها مائدة محملة بالقرابين والهدايا من اطعمة متنوعة من لحم الحيوانات والطير والخبز والحنطة والزهر ومن الزيوت والطيوب في آنية جميلة

وقد روى لنا التاريخ (٧) ان الملك احموسي اراد تكريم ذكرى الوالدة الملكية تيتي شيري وقصة هذا التكريم طلية وهنا ادع الكلام « للكاتب الماهر » قال :

حدث ان (٨) جلالة الملك نبيهتره ملك مصر العليا ومصر السفلى ابن را احموسي المزين بالحياة جلس في قاعة العرش وكانت مع جلالتهِ نوفتيرا الاميرة الوارثة العظيمة في النعمة وفي اللطف ابنة الملك والزوجة الالهية وزوجة الملك العظيمة

---

(١) Abydos part 3: C. T. Carelly
(٢) do do do
(٣) do do do
(٤) Stéles du nouvel empire: Lacau
(٥) M. G. Foucart
(٦) Stéles du premier empire; Lacau
(٧) Abydos 3; A. Gardener
(٨) Tarduction M. Munier d'après Ancient records: Breasted

«فاخذا يبخران معاً فيما يرضيان به الراحلة وفي اهداء آنية الغسل وتقريب قربان على المذبح وتقديم مائدة القرابين الخاصة في اليوم الاول من كل فصل وفي العيد الشهري في اليوم الاول من الشهر وعيد خروج سيم وعيد القرابين الليلية في الخامس من الشهر وعيد السادس من الشهر وعيد هاكرو وعيد واج[1] وعيد توت واليوم الاول من كل فصل وهو عيد السماء والارض

« فاجابتهُ اختهُ قائلة :

« ما الذي ذكرك بهذا ولماذا قيل هذا الكلام وما الذي شعر به قلبك

« فرد عليها الملك نفسه قائلاً :

«انا الذي تذكرت ام امي وام ابي والزوجة الجليلة وام الملك تيتي شيري الظافرة فمع ان لها مقبرة ومقصورة لجثتها في اراضي طيبة وابيدوس فاني اخبرك بان جلالتي رغبت في ان تشيد لها هرماً ومسكناً في تاتوسير (طيبه) هبة اثرية من جلالتي . وتحفر البحيرة وتغرس الاشجار وتقرر القرابين ويعين لهذا المسكن الموظفون وتوقف الحقول وتقدم لهُ التبرعات من قطعان الماشية ويتخب كهنة الجنازات وكهنة ممارسة الشعائر الدينية

« قال جلالة الملك هذا الكلام وشرع فعلاً في بناء الهرم وقد عمل جلالتهُ ذلك لانهُ كان يحبها حباً جماً يفوق حبه لكل شيء وما عهدنا قط ملوكاً يكرمون امهاتهم بمثل ما اكرم امهُ وحينئذٍ مد جلالتهُ ذراعهُ وخفض يدهُ وصلى صلاة الجنازة من اجلها ومما يسر ان الزخرف تحول ببطء بتأثير توسلات الملك وتلاوة صلوات الجنازة وبتدائنا لتلك المحبوبة جداً وحينئذٍ حدثت معجزة فان السهل الذي يملأ النفس رهبة بعزلته ابتدأ ان يهج والجبل المقدس امتلأ بالذين آوتهم قديماً في كنفها وهناك في طرف الحقول الفسيحة النضرة انفصل شيح الهرم التذكاري الذي سمي من زمان طويل انفصالاً ظاهراً واستقر على بعض ازهار الخشخاش الحمراء وحفرت بالقوب منا بحيرة ونبت صف من الاشجار ثم خرج فجأة من قلب الجدران المتهدمة وانقاض الطوب مسكن تيتي شيري الابدي ورئي نفر من كهنة الجنازات يسيرون متمهلين وهم يتلون في هذا اليوم الاول من الفصل الجديد او عيد السماء والارض الصلوات المعتادة الخاصة بالراقدين ثم في المساء اصطبغ الوجود بالنيران المنبعثة من مغرب الشمس ورأينا الوالدة الملكية تظهر بجلالها وبهائها . فورة جميلة وكل ما فيها يطابق تمثالها الصغير وقد عقدت على رأسها تاجاً من العقاب الرمزي تعلوهُ

(١) هذا العيد هو الذي يحتفل به المسيحيون المصريون الآن في ١٧ توت ويسمى عيد الصليب

ريشتنا هاتور على نمط الملكات الاليات وهي تنظر الى السهل الفسيح وقد احاط بها جماعة من العظماء والاكابر وكلهم يشبهها بما بينها و بينهم من روابط الالوهية المتماثلة »

***

ان تيتي شيري تعد في طليعة سلالة الالهات المصرية المتقطعة النظير التي اسبغت على الارضين (الوجهين البحري والقبلي) خيرات وفيرة ولا نزاع في ان الامبراطورية المصرية بلغت اوج العز في عهد اولئك السيدات امهات كنّ او زوجات او اخوات او بنات للملوك المتفرعين من دوحة سلالة الشمس وقد تعاقبوا على العرش في الحقبة المجيدة التي ملكت فيها الاسرة الثامنة عشرة [1] اذ بعثت في البلاد روح الحياة والنشاط بالهامهن الالهي

وحين يذكر المرء ان طيبة كانت في اوائل عهد تيتي شيري امارة حقيرة تابعة للملوك الرعاة وكان بلاط تاعو امير الجنوب غير ذي شأن والبلاد فقيرة لا يسعهُ الاّ الاعجاب بعظم الجهد الذي بذل والتقدم الذي تم في اثناء حكم ثلاثة ملوك مقعم بالاضطرابات حتى جعلوا طيبة في النهاية عاصمة [2] زاهرة لمصر المستقلة المنبسطة السلطان التي تدل حدودها المنقوشة على جدار قبر الاميرال احموسي على انها امتدت امتداداً مدهشاً ولم تحل الحروب المتواصلة دون تجديد [3] المدن التي كان الاسيويون قد نهبوها في تراجعهم التدريجي [4]

واذا درس المرء تاريخ هذه النهضة درساً خاصاً استطاع ان يدرك حق الادراك عظم قدر هؤلاء الملكات اللاتي كن دائماً على اتصال بشعبهن لما كان الملوك المحاربون يعملون لارتقاء ارض الوطن و يقاتلون العدو بعيداً عن العاصمة فانهن يلطفن الساحر وذكائهن ولباقتهن ومقامهن العالي ادّين واجبهن كنساء وملكات وإلهات واملين على الاحياء ارادتهن السامية وهكذا ملكنّ على العقول والقلوب في عصرهنّ وجاء الخلف فمجدهن كالهات

***

وفي تلك الليلة الساحرة ذكرنا الام الملكية هذه الذكرى العميقة فأحيا الازلي را في نفوسنا تلك الذكريات الماضية المجيدة واخيراً ودعنا ذلك المكان قبل اختفاء اشعة القمر حاملين معنا ذلك المنظر الذي لا ينسى : منظر الملكة تيتي شيري الظافرة الى الابد والحية في مرقدها الابدي في تاتشوسر (طيبة)

(١و٢) 17th & 18th Dynasties : Petrie
(٣) History of Egypt: Budge (٤) Ancient Records: Breasted